الفخر الذاتي في
شعر أبي فراس الحمداني

اعداد

د. منى عبدالله منصور المطرفي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة

التخصص العام: الأدب والنقد

التخصص الدقيق: الأدب

مدينة الباحة- المملكة العربية السعودية

البريد الشبكي:alshmook-2017@hotmail.com

ملخص البحث باللغة العربية

لقد تناولت هذه الدراسة موضوع **(الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني)** للبحث في كيفية بناء النص الشعري مضموناً وهيكلاً ودلالةً.

وبدأت الدراسة بمقدمة تعرض موضوع البحث وأسباب اختياره ومحاوره التي تشكلت في تمهيد بعنوان "دوافع الفخر الذاتي عند أبي فراس الحمداني"، وثلاث مباحث: الأول بعنوان "مضامين الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني"، والثاني بعنوان: "قصيدة الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني" والأخير بعنوان: "دلالات الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني" يتبعه خاتمة الدراسة ثم تنتهي بقائمة المصادر والمراجع.

أرجو من العلي القدير التوفيق فيما قدمته هذه الدراسة، والحمد لله ر ب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

الكلمات المفتاحية:

الفخر – أبو فراس الحمداني – النص الشعري.

باللغة الإنجليزية

This study dealt with the subject of (self-pride in the poetry of Abu Firas al-Hamdani) to discuss how to build the poetic text content, structure and significance.

The study started with an introduction that presents the subject of research and the reasons for its selection and axes, which were formed in a preamble entitled "Motives of self-pride in Abu Firas al-Hamdani", and three topics: the first entitled "the contents of self-pride in the poetry of Abu Firas al-Hamdani", and the second entitled: "Poem of self-pride in the poetry of Abu Firas Al-Hamdani "and the last entitled:" semantics of self-pride in the poetry of Abu Firas Al-Hamdani "followed by the conclusion of the study and then end with a list of sources and references.

I ask the Almighty to reconcile with this study, and thank God for the worlds and prayers and peace be upon the master of the messengers.

key words:

Pride - Abu Firas al-Hamdani - poetic text.

مُقَدِّمَة

زخر العصر العباسي بشعراء متميزين تركوا خلفهم نتاج شعرياً يجسد ابداعهم، ويداعب عقول الباحثين لدراسته والتنقيب فيه عن مواضع التميز والتفرد، من هؤلاء الشعراء الشاعر الفارس الأمير أبو فراس الحمداني، الذي ملأ المعارك والشعر مفاخراً وبطولات، فكان فخره وبالأخص بعد الأسر من المواضع التي تستحق الوقوف عليها والبحث عن أسرارها، وبالأخص بعد أن بحثنا في الدراسات السابقة مثل:

١. أبو فراس الحمداني، حياته وشعره، عبد الجليل حسن عبد المهدي.
٢. أبو فراس الحمداني دراسة في الشعر والتاريخ، جورج غريب.
٣. أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، د. النعمان القاضي.
٤. أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية، د. عبد المجيد الحر.
٥. في التذوق الجمالي لقصيدة أبي فراس الحمداني (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر) د.محمد علي أبو حمده.
٦. الحزن في شعر أبي فراس الحمداني، منى عبدالله منصور المطرفي، (رسالة ماجستير).

هذه الدراسات لم نجد أنها تناولت غرض الفخر الذاتي تحديداً عند الشاعر بدراسة تحلل النص من داخله ومن حيث علاقة هذه البنية الداخلية بمحيط النص، بل كانت هذه الدراسات تنظر للنص من الخارج وتدرس أثر محيطه عليه، لهذا كانت دراسة الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني وفق المنهج الإنشائي الذي يساعد على تحديد الخصائص التي جعلت من النص الأدبي أدبياً أي الخصائص التي شكلت ما تميز به الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني من حيث ما يتكرر في بنية النص حتى يصبح سمة لها، مع دراسة أسباب ذلك ودلالاته.

وعلى هذا تكونت الدراسة من تمهيد يتحدث عن دوافع الفخر الذاتي عند الشاعر، ثم المبحث الأول بعنوان: مضامين الفخر الذاتي يعرضها قبل الأسر وبعده.

ثم المبحث الثاني بعنوان: قصيدة الفخر الذاتي ويتناول لغة الفخر وبلاغته، من حيث رصد التراكيب والأساليب والصور البلاغية الأكثر حضوراً في قصائد الفخر وأبياته، والبحث عن أسباب ميل الشاعر لاستخدامها أكثر من غيرها.

ثم المبحث الثالث: بعنوان دلالات الفخر الذاتي وهذا المبحث يحاول أن يجيب على سؤال على ماذا يدل شعر الفخر الذاتي في قصيدة أبي فراس الحمداني.

ثم تنتهي الدراسة بخاتمة تضم ملخصاً عن البحث وأهم محاوره. بعد ذلك تُسرد قائمة المصادر والمراجع التي تمت الاستفادة منها في بناء هذه الدراسة.

أسأل الله عز جلاله الرشاد في القول والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

دوافع الفخر الذاتي عند أبي فراس الحمداني

لقد كان الفخر الذاتي من أبرز الفنون الشعرية في ديوان أبي فراس الحمداني، فقد سكنت معانيه في جلِّ زوايا أبياته وألقت بظلالها على قصائده، وما ذلك إلا لتوافر دوافع الفخر في حياة أبي فراس، سواء كانت دوافع ذاتية اختصت بها شخصيته، أم دوافع عامة اختصت بها قبيلته، فمن الدوافع الذاتية التي اختصت بها شخصيته:

(١) فروسيته وشجاعته ونباهة عقله برغم صغر سنه، فقد تولى أمر منبج وعمره حين ذاك ستة عشر عاماً فقط، كما يكفينا دليلاً على شجاعته وفروسيته أن نتذكر سبب أسره، وهو أنه أصر على مواجهة الروم برغم قلة عدد رجاله على أن يهرب من المعركة:

أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ، لَدَى الْوَغَى،... وَلاَ فَرَسِي مُهْرٌ، وَلاَ رُبَّهُ غَمْرُ !
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِئٍ ... فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ، وَلاَ بَحْرُ![(١)]
وَقَالَ أُصَيْحَابِي: "الْفِرَارُ أَوِ الرَّدَى؟ "... فَقُلْتُ: " هُمَا أَمْرَانِ، أَحْلاَهُمَا مُرُّ"
وَلَكِنَّنِي أَمْضِي، لِمَا لاَ يَعِيبُنِي ... وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الأَسْرُ[(٢)]

فنرى في أبيات الشاعر هذه ملامح الفروسية والشجاعة العربية التي تأبى الذل حتى لو كان فيه نجاتها من الموت، فالشاعر يشير إلى قلة عدد أصحابه بقوله (أُصَيْحَابِي)، فقد استخدم صيغة التصغير من (أصحابي) للدلالة على قلة عددهم، ثم يخبرنا أنهم واجهوا الموت فلم يبق لهم حل إلا الهروب أو الأسر أو الموت، فكان اختياره سريعاً ومباشراً، وهو أن يمضي إلى اختيار الذي لا يعيبه ولا ينتقص من شجاعته ورجولته، ألا وهو الأسر، فهو

---

(١) حُمَّ القضاء: قُضي القضاء وقُدِّر، لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، د.ت، ج٣، ص٣٣٨.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق سامي الدهان، د.ط، نشر المعهد الفرنسي بدمشق، طبع في بيروت سنة ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م، ج ٢، ص٢١٣.

أفضل من الهروب وأفضل من الموت، والشاعر فضَّل الأسر على الموت ليس حباً في الحياة؛ لأن الموت واقع لا محالة عاجلاً أم آجلاً، وربما يأتي وهو على فراشه، وليس في ساحة المعركة، بمعنى آخر أن الشاعر لو سلم من الأسر، فلن يسلم من الموت، فربما يفاجئه وهو في فراشه، والفارس الأصيل يكره ميتة الفراش، ويعشق موت المعارك، لهذا اختار أبو فراس الأسر ولو كان الموت فيه؛ لأن الموت هو الموت، ولكن الميتة التي ترفع الذكر أفضل للفارس، فالذكر يبقى حياً حتى لو مات صاحبه ومرت عليه سنوات وأجيال.

(٢) كذلك من الدوافع الذاتية التي اختصت بها شخصية أبي فراس ثقافته وعلمه، وهذه ظهرت بشكل غير مباشر، فنراها في ذكره لتاريخ الأسرة الحمدانية، وذكره للمعارك والشخصيات التي شكلت التاريخ البطولي العربي والحمداني، كما أن تلقيه لعلوم اللغة على يد أبرز المعلمين حين ذلك ابن خالويه، صقل لسانه وأكسبه نفساً قوياً جعله ذا صوت متفرد عذب وقوي، فأبدع في فخره بنفسه وبقبيلته[١].

(٣) أيضاً كان لأبي فراس من عز قبيلته تغلب، ومكانة آبائه الذين اشتهروا بالشجاعة والجلد وعلو الهمة، داع يستفزه إلى الفخر، ولاسيما وأنه برغم يتمه قد تلقى فنون القتال والفروسية منذ صغر سنة، وخاض غمار المعارك، وجالس حملة السيوف وأرباب القلم. يقول متحدثاً عن هذا:

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أُصُولُهُمْ ... بَهَالِيلَ، أَبْطَالٍ، كِرَامِ الْمَنَاسِبِ
وَلَوْلاَ "رَسُولُ اللهِ" كَانَ اعْتِزَاؤُنَا ... لأَشْرَفِ بَيْتٍ مِنْ "لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ"[٢]

(١) انظر: الديوان ج٢، ص١٢، ص١٧٦، ص٢٨٩، نماذج لقصائد أطال الشاعر فيها فخره وبرزت فيها ثقافته.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤٩.

فالشاعر يفخر بقبيلته التي سادت الدنيا، وحملت على كاهلها عبء التصدي للروم، فكانت العنصر العربي والإسلامي الوحيد آنذاك الذي استشعر مسؤولياته القومية والدينية في وقت تدخل فيه الأعاجم في شؤون جل الدويلات الإسلامية، وسيطروا على زمام الأمور حتى في الدولة العباسية، ويكفينا شاهداً على فخره بقبيلته قصيدته:

لعل خيال العامرية زائـــــــر ... فيُسعد مهجور ويُسعد هاجر(١)

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها أيام أسلافه وفخره بآبائه وأعمامه وأهله، حتى وصل بفخره إلى سيف الدولة، ونذكر منها قوله:

فَإِنْ تَمْضِي أَشْيَاخِي، فَلَمْ يَمْضِ مَجْدُهَا ... وَلا دَثَـرَتْ تِلْـكَ العُلَـى والمَـآثِرُ
نُشِيدُ كَمَا شَادُوا وَنَبْنِي كَمَا بَنَوْا ... لَنَا شَرَفٌ مَاضٍ وَآخَرُ حَاضِرُ
فَفِينَا لِدِينِ اللهِ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ ... «وَفِينَا لِدِينِ اللهِ » سَيْفٌ وَ«نَاصِرُ»
هُمَا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشَرَّدٌ ... أَجَارَاهُ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ يُجَاوِرُ
وَرَدَّاهُ حَتَّى مَلَّكَاهُ سَرِيرَهُ ... بِعِشْرِينَ أَلْفاً بَيْنَهَا الْمَوتُ سَافِرُ
وَسَاسَا أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ سِيَاسَةً ... لَهَا اللهُ والإِسْلاَمُ والدِّينُ شَاكِرُ(٢)

فالشاعر في هذه الأبيات – كما قلنا سابقاً – يفخر بالمسؤوليات الدينية والقومية التي نهضت بها أسرته.

هذه أبرز الدوافع التي نستطيع أن نقول إنها أوقدت لسان أبي فراس مفاخراً بها في شعره، أما بماذا كان يفخر؟ أو حول ماذا دار فخر أبي فراس؟ فهذا هو مدار المبحث الأول من الدراسة.

❁❁❁❁❁

(١) المصدر السابق، ج٢، ص١٠٣.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ١١٤.

المبحث الأول

مضامين الفخر الذاتي

في الحقيقة أنه لم يختلف كثيراً عن موضوعات الفخر في الشعر العربي عامة، فقد كان يفخر بقبيلته وأبناء عمومته وبآبائه وأجداده، وخص بفخره ابن عمه ومربيه سيف الدولة، كما فخر بنفسه وبفروسيته وبطولاته وكرمه، وقد كانت الصفات التي يفخر بها والمناقب التي يعددها هي مفاخر الشاعر العربي المعتادة، من فخر بالفروسية، والشجاعة، ومواجهة الأعداء، ومقارعة الخطوب، وإكرام الضيف، وفك الأسير، وتحمل الديات، إلى غير ذلك من الصفات التي كان يرى فيها العربي حمداً ومجداً.

فمن فخر أبي فراس بقبيلته وأبناء عمومته قوله:

إِنِي أَمْرُؤٌ بِنَبِي حَمْدَانَ مُفْتَخِرٌ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ أَجْدَاداً وَأَسْلاَفَا
إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ، مَا ضِيمَ جَارُهُمُ ... وَلاَ رَأَى عِنْدَهُمْ بُؤْساً، وَلاَ خَافَا
إِنْ حَالَفَتْنَا المَعَالِي فَهْيَ قَدْ عَلِمَتْ ... كَانَتْ لآبَائِنَا مِنْ قَبْلُ أَحْلاَفَا
مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ بِالصَّبْرِ مُدَّرِعٍ ... مَا خَافَ قَطُّ وَلاَ وَالَى وَلاَ صَافِيَ
مُسْتَقْبِلاً لِوُجُوهِ القَوْمِ يَطْعَنُهُمْ ... حَتَّى يُبِيحُوهُ أَصْلاَباً وَأَكْتَافَا[1]

ونلمح في هذه الأبيات تمازج الأنا مع النحن في توحد شبه تام، فالشاعر يجد نفسه في مدح قومه[2]. فهو مقتنع بأنه يجب أن يعلي قدر أهله وأقاربه وكل من ينتمي إليهم بعزته وسؤدده، حتى يعتلي قدره هو وترتفع مكانته، لهذا يقول في موضع آخر:

---

(١) الديوان ج٢، ص٢٦٠.

(٢) كتاب النصوص الأدبية دراسة وتحليل، سعود محمود عبد الجبار، أصدره قسم اللغة العربية بكلية الإنسانيات ـ جامعة قطر، الناشر دار قطري بن الفجاءة، د.ت، ص٢٠٣.

وَلِلْـوُرَّاثِ إِرْثُ أَبِـي وَجَـدِّي جِيَادُ الخَيْلِ والأَسَلِ والطِّوَالِ[1]
وَمَـا تَجْنِـي سَـرَاةُ بَنِـي أَبِينَـا سِوَى ثَمَرَاتِ أَطْرَافِ العَوَالِي
مَمَالِكُنَـا مَكَاسِـبُنَا، إِذَا مَـا تَوَارَثَهَـا رِجَـالٌ عَـنْ رِجَـالِ[2]

فالشاعر قبل الأسر كانت ذاته تذوب في ذات القبيلة، فكل مجد موروث عنها، وكل عز مردود إليها، وكل تضحية بالنفس والمال مبذولة لها حتى وصل به الحرص إلى الخوف من أن يقال عنها أنها كفت عن القتال ومالت إلى الدعة والراحة، فالشاعر يريد لها العزة بالفروسية والقتال طوال بقائها حتى تظل صاحبة هيبة وجلال. وهذا هو ديدن الشاعر العربي.

كذلك كان يكثر في فخره من ذكر أسماء الرجال ومواقف القتال، ويجعل فخره قومياً أكثر منه ذاتياً، إلا أنه لا يجيد وصف القتال، ولا يطيل فيه كما كان يفعل (المتنبي)، ومن أمثلة ذلك قصيدته[3]:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أُسُوداً قَسَاوِراً ... لِنُعْمَاهُمُ الصَّفْوُ الَّذِي لَنْ يُكَدَّرَا

حيث يقول فيها:

فَسَـائِلْ كِلاَبـاً يَـوْمَ غَـزْوَةِ بَـالِسٍ أَلَمْ يَتْرُكُوا النِّسْوَانَ فِي القَاعِ حُسَّرَا
وَسَـائِلْ نُمَيْـراً يَـوْمَ سَـارَ إِلَـيْهِمُ أَلَـمْ يُوْقِنُـوا بِـالْمَوْتِ لَّـا تَنَمَّـرَا
وَسَـائِلْ عُقَـيْلاً حِـيْنَ لاَذَتْ بِتَـدْمُرٍ أَلَـمْ تُقْـرِ هَـا ضَـرْباً يَقُـدُّ السَّـنَوَّرَا
وَسَائِلْ قُشَيْراً حِيْنَ جَفَّتْ حُلُوقُهَا أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْساً مِنَ المَوْتِ أَحْمَرَا[4]

(١) الأسل: الرماح أو النبل. اللسان ج١، ص١٤٤.
(٢) الديوان، ج٢، ص٢٨١.
(٣) تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البوليسية بيروت، الطبعة الثانية عشرة، د.ت، ص٦٥٥.
(٤) الديوان، ج٢، ص١٩٨.

إلى آخر الأبيات التي تزخر بعواطف المجد والأنفة وتفوح منها نفحات الكبرياء والعزة[1].

هذا فخر أبي فراس بقبيلته، إلا أن هذا الفخر يأخذ ويتركز عن القبيلة في شخص قائدها وسيد الدولة الحمدانية الأمير سيف الدولة، فالشاعر إذا أراد الفخر بالحمدانيين افتخر بالقبيلة أجمع، أو افتخر بسيف الدولة النموذج الفذ للبطل الحمداني، فهو في هذه الناحية أيضاً يمزج بين فخره بنفسه وفخره بسيف الدولة، يقول:

فَكَيْفَ تَنْتَصِفُ الأَعْدَاءُ مِنْ رَجُلٍ، الْعِزُّ أَوَّلُهُ، وَالْمَجْدُ آخِرُهُ؟
زَاكِي الأُصُولِ، كَرِيمُ النَّبْعَتَيْنِ، وَمَنْ زَكَتْ أَوَائِلُهُ طَابَتْ أَوَاخِرُهُ
فَمِنْ "سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانٍ" وِلاَدَتُهُ، وَمِنْ "عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ" سَائِرُهُ !
الْقَائِلُ، الْفَاعِلُ، الْمَأْمُونُ نَبْوَتُهُ، وَالسَّيِّدُ الأَيِّدُ، الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
بَنَى لَنَا الْعِزَّ، مَرْفُوعاً دَعَائِمُهُ، وَشَيَّدَ الْمَجْدَ، مُشْتَدًّا مَرَائِرُهُ،[2]
فَمَا فَضَائِلُنَا إِلاَّ فَضَائِلُهُ، وَلاَ مَفَاخِرُنَا إِلاَّ مَفَاخِرُهُ

فالشاعر افتخر في البداية بقوة عترته، ودخل بعد ذلك في فخره بنفسه والجاً من خلاله إلى فخره بأخص أقربائه سيف الدولة معدد فضائله، ومعترفاً بأن فضائل بني حمدان ما هي إلا فضائل سيف الدولة، وأنّ مفاخرَهم هي مفاخره. فكأن فخر الشاعر يدور في حلقة مبتدئاً بسيف الدولة ومنتهياً عند سيف الدولة.

بقي لنا من مفاخر أبي فراس قبل الأسر صورة فخره بنفسه، وهذه الناحية أيضاً كانت عند أبي فراس تقليدية في موضوعاتها فهي فخر بالفروسية، بالشجاعة، بالكرم وما شابه ذلك مما كان يستحوذ على فخر الشاعر الفارس العربي في كل وقت وكل مكان، إلا أننا نستطيع أن نقول: إن

(١) المصدر السابق ج٢، ص١٧٩، الأبيات من ٢٢ إلى ٣٢.
(٢) مرائره: جمع مريرة وهي العزيمة. اللسان ج١٣، ص٧٤.

فخر الشاعر في هذه الناحية كان على درجة من المبالغة مقبولة، فهو لم يشطح إلى حد الغرور في فخره بنفسه كالمتنبي، ولم يَذُب في ضمير الجماعة حتى ينسى ذاته، بل كانت فخرياته معقولة إلى حدٍّ ما، من ذلك قوله:

فَمِثْلِيَ مَنْ نَالَ المَعَالِي بِسَيْفِهِ وَرُبَّمَا غَالَتْهُ عَنْهَا الغَوَائِلُ
وَمَا كُلُّ طَلاَّبٍ مِنَ النَّاسِ بَالِغٌ وَلاَ كُلُّ سَيَّارٍ إِلَى المَجْدِ وَاصِلُ
وَإِنَّ مُقِيماً مَنْهَجَ العَجْزِ خَائِبٌ وَإِنَّ مُرِيغاً خَائِبَ الجُهْدِ نَائِلُ
وَمَا المَرْءُ إِلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ وَإِنِّي لَهَا فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ جَاعِلُ[1]
وَلِلْوَفْرِ مِتْلاَفٌ وَلِلْحَمْدِ جَامِعٌ وَلِلشَّرِّ تَرَّاكٌ وَلِلْخَيْرِ فَاعِلُ
وَمَالِيَ لاَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ فِي يَدِي كَرَائِمُ أَمْوَالِ الرِّجَالِ العَقَائِلُ
أُحَكِّمُ فِي الأَعْدَاءِ مِنْهَا صَوَارِماً أُحَكِّمُهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ[2]

فالشاعر يفخر بسيفه الذي أوصله إلى المعالي، فليس كل من سار للمجد يصل إليه؛ لأن المرء حيث يجعل نفسه، فإن جعلها فوق المجد وسار إليه في الطريق الصحيح وصل. وطريق الشاعر لمجده سلكه بإتلاف الوفر أي الجود والكرم وبجمع المحامد وترك الشر وفعل الخير.

ولكن لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة، فهذه الفروسية الفذة كتب عليها أن تقع في براثن الأسر، فهل اختلف فخرها أم ظل كما هو؟!.

إن فخر أبي فراس في بداية وقوعه في الأسر ظل كما هو، بل زاد فخره بقبيلته وبابن عمه سيف الدولة مستنهضاً هممهم مستحثاً عزائمهم علَّهم يسرعون في نجدته وإنقاذه من الأسر، فها هو (يمزج فخره الذاتي بفخره بقومه

(١) السماكين: نجمان نيران. اللسان ج٦، ص٣٦٩.
(٢) الديوان ج٢، ص٢٩٥.

كما فعل في رائيته الرائعة؛ إذ فخر بذاته فخراً عالياً، وأشاد بفروسيته وبطولته وانعدام نظيره، وافتقاد قومه له) [1]يقول:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي، إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ، (وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ)
فَإِنْ عِشْتُ فَالطَّعْنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ وَتِلْكَ الْقَنَا، وَالْبِيضُ وَالضُّمَّرُ الشُّقْرُ
وَإِنْ مِتُّ، فَالإِنْسَانُ لاَبُدَّ مَيِّتٌ، وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ، وَأَنْفَسَحَ الْعُمْرُ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي، مَا سَدَدْتُ، اكْتَفَوْا بِهِ، وَمَا كَانَ يَغْلُو الْتِّبْرُ، لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ

ثم يعود وينسب هذه المفاخر إلى قومه أجمعين متحدثاً بضمير الجمع عن أناس هو فرد منهم:

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لاَ تَوَسُّطَ عِنْدَنَا، لَنَا الصَّدْرُ، دُونَ الْعَالَمِينَ، أَوِ الْقَبْرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا، وَمَنْ خَطَبَ الْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا، وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلاَ، وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ، وَلاَ فَخْرُ[2]

فالشاعر برغم الألم الذي يعيشه نراه يبذل كل محاولاته في البقاء متماسكاً شامخاً في وجه المعاناة، فينشد بأقوى ما في الفخر من اعتزاز:

إِنْ زُرْتُ " خَرْشَنَةً " أَسِيرًا فَلَكَمْ أَحَطْتُ بِهَا مُغِيرًا؟

(١) الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، طبعة ١٩٨٢م، ص٣٤٤.

(٢) الديوان ج٢، ص٢١٣. ولهذه القصيدة عدة دراسات جيدة، فقد اهتم جُلّ الدارسين بتحليلها ودراستها مثل:

١. النص الأدبي دراسة تحليلية تكاملية، أ. د، توفيق الفيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م، ص٢١٣.
٢. سلسلة النقد الأدبي التطبيقي في التذوق الجمالي لقصيدة أبي فراس الحمداني (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر) د. محمد علي أبو حمده.
٣. سلسلة اللغة العربية قضاياها ومشكلاتها، فعاليات ندوة الشعر العربي القديم – دراسته وسُبُل تذوقه، شاعر ونص عن أبي فراس الحمداني وقصيدته (نفسة مصدور وزفرة أسير) د. فاضل فتحي والي، ص١٨٩.

وَلَقَـــدْ رَأَيْـــتُ النَّـــارَ تَـــلْ تَهِـــبُ الْمَنَـــازِلَ وَالْقُصُـــورَا
وَلَقَـــدْ رَأَيْـــتُ السَّـــبْيَ يُـــجْ لَـــبُ نَحْوَنَـــا حُـــوًّا، وَحُـــورَا

إلى أن يقول:

وَلَـــئِنْ رُمِيـــتُ بِحَـــادِثٍ فَلأُلْفَـــيَنَّ لَـــهُ صَـــبُورَا
صَـــبْراً لَعَـــلَّ اللهَ يَـــفْ تَـــحُ بَعْـــدَهُ فَتْحـــاً يَسِـــيرَا
مَـــنْ كَـــانَ مِثْلِـــي لَـــمْ يَبِـــتْ إِلاَّ أَسِـــيرًا أَوْ أَمِـــيرَا
لَيْسَـــتْ تَحُـــلُّ سَـــرَاتُنَا إِلاَّ الصُّـــدُورَ أَوِ الْقُبُـــورَا[1]

ذكريات الماضي ترتسم أمام ناظري الشاعر، فيصف كيف كان يرى النار تلتهم المنازل والقصور، وكيف كان يرى النساء وهن سبايا بين يديه يختار منهن ما يشاء، أين ذلك؟! إنه في خرشنة التي هو فيها الآن أسير. لذلك تتحول لهجة الذكريات إلى لهجة إباء وأنفة، فإن كانت الحوادث أصابته بهذه النكبة فلن تجد عنده إلا الصبر في رجاء أن يجعل الله له مخرجاً، فالفارس الأصيل ليس له في حياته إلا أحد المصيرين إما أن يكون أميراً أو أن يكون أسيراً.

ونلاحظ في فخر أبي فراس بعد الأسر أنه في الغالبِ يقدم الحديث عن آلامه وعن الأحداث المؤلمة، ثم ينتقل إلى مواطن القوة في ذكرياته أو في حاضره، فكأني به ينهزم تحت وطأة الألم حتى يذهل عمّا يقول، ثم يستفيق كالمذعور يلملم جراحه فينصب رايات العزة ويرسم لوحات فروسيته وبطولاته، وهو مهتم أكثر ما يكون بأن يعرب عن قوة روحه وصلابته، كما كان مهتماً بأن يعلن أن الأسر لم ينل منه شيئاً [2]، يقول:

وَلاَ تَصِـفَنَّ الْحَـرْبَ عِنْـدِي فَإِنَّهَـا طَعَـامِيَ مُـذْ بِعْـتُ الصِّـبَا وَشَـرَابِي
وَقَدْ عَرَفَتْ وَقْعَ الْمسَامِيرِ مُهْجَتِـي وَشُـقِقَ عَـنْ زُرْقِ النُّصُـوْلِ إِهَـابِي

(١) الديوان، ج٢، ص٢٠٨.
(٢) الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي، ص٣٤٦.

وَلَجَّجْتُ فِي حُلْوِ الزَّمَانِ وَمُرِّهِ وَأَنْفَقْتُ مِنْ عُمْرِي بِغَيْرِ حِسَابِ[1]

كذلك نرى في قصائده محاولات عدة للتعالي على الجراح الدامية، فهو (يَعْبُرُ من وهدة الفشل والاندحار في حفرة الضياع والتشتيت إلى قمة التمجيد والتعظيم، بما حققه من النجاح والانتصار) [2]، فها هو صوته يرتفع قائلاً:

مَالِي جَزَعْتُ مِنَ الْخُطُوبِ وَإِنَّمَا أَخَذَ الْمُهَيْمِنُ بَعْضَ مَا أَعْطَانِي
وَلَقَدْ سَرَرْتُ كَمَا غَمَمْتُ عَشَائِرِي زَمَناً، وَهَنَّانِي الَّذِي عَزَّانِي
وَأُسِرْتُ فِي مَجْرَى خُيُولِي غَازِياً، وَحُبِسْتُ فِيمَا أَشْعَلَتْ نِيرَانِي[3]

قمة المأساة يحياها الشاعر، وهو يرى نفسه مهاناً في مكان كان بالأمس يجول ويصول في أرجائه أسداً مزمجراً يفرُّ الناس من بين يديه ذعراً وخوفاً، والبيت الأخير وحده لو قاله الشاعر لاكتفى به واصفاً معاناته، إلا أنه برغم هذا الانكسار يعود بعد عدة أبيات يقفز فوق ضعفه كأنه ممتطياً جواده، قافزاً فوق عدو من أعدائه، رافعاً سيف الفخر في وجه المأساة، مطاعناً ذل الأسر والانكسار برمح ذكريات فروسيته، مراعياً في ذلك أن يستعين بمواضع الفخر القريبة من بواطن ذاته:

وَأَنَا الَّذِي مَلأَ الْبَسِيطَةَ كُلَّهَا نَارِي، وَطَنَّبَ فِي السَّمَاءِ دُخَانِي
كَانَ الْقَضَاءُ فَلَمْ تَكُنْ لِيَ حِيلَةٌ غَلَبَ الْقَضَاءُ شَجَاعَةَ الشُّجْعَانِ
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ يُخَلَّ بِمَوْقِفِي وَيُحَلَّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَكَانِي
مَا زِلْتُ أَكْلأُ كُلَّ ثَغْرٍ مُوحِشٍ أَبَداً ، بِمُقْلَةِ سَاهِرٍ يَقْظَانِ
سَلاَّكِ، كُلِّ عَظِيمَةٍ وَرَّادِهَا، ضَرَّابِ هَامَاتِ الْعِدَا ؛ طَعَّانِ

(١) الديوان، ج٢، ص٢٩.
(٢) أبو فراس الحمداني، عبدالمجيد الحر، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص١٠١.
(٣) الديوان، ج٣، ص٤٠٨.

إِنْ يَمْنَعِ الأَعْـدَاءَ حَـدَّ صَـوَارِمِي لاَ يَمْنَـعِ الأَعْـدَاءُ حَـدَّ لِسَـانِي
إِنْ لَمْ تَكُنْ طَالَتْ سِنِّي فَإِنَّ لِـي رَأْيَ الْكُهُـولِ وَنَجْـدَةَ الشُّـبَّانِ
قَمِنٌ، بِمَا سَاءَ الأَعَادِي، مَـوْقِفِي وَالدَّهْرُ يَبْرُزُ لِـي مَـعَ الأَقْـرَانِ [1]

إصرار عجيب من الشاعر بأن يظل برغم السجن والأسر حارساً لكل ثغر للدولة الحمدانية بمقلته الساهرة، فهو سالك كل مهمة عظيمة ورادها، لا يخاف ولا يهاب ضرَّاب هامات العدا، طعَّان صدورهم، ليس سيفُه فقط قاتِلَ أعدائه، بل لسانُه أيضاً طاعنٌ في أعراضهم، فإن كسروا سيفه بالأسر فلن يُكسر لسانه الذي أطلقه في وجه الدمستق مفاخراً بنفسه، هاجياً الفرس عندما اتهم الدمستق أبا فراس بقوله: (إنما أنتم كُتابٌ أصحاب أقلام ولستم بأصحاب سيوف ومن أين تعرفون الحروب) فأجابه أبو فراس مقاتلاً مفاخراً بالحمدانيين على الفرس بقوله:

أَتَـزْعُمُ يَـا ضَـخْمَ اللَّغَادِيـدِ أَنَّنَـا وَنَحْنُ أُسُـودُ الحَـرْبِ لاَ نَعْـرِفُ الحَرْبَـا
فَوَيْلَكَ مَنْ لِلْحَرْبِ إِنْ لَمْ نكُنْ لَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يُمْسِي وَيُضْحِي لَهَا تِرْبَـا
وَمَـنْ ذَا يَلُـفُّ الجَـيْشَ مِـنْ جنباتـه وَمَنْ ذَا يَقُودُ الشُّمَّ أَوْ يَصْـدِمُ القَلْبَـا [2]

ولكن مع تطاول فترة الأسر وتأخر الفداء، ومع ما أخذ يظهر له من قلة وفاء أهله، وعدم صيانة أصدقائه لعهود المودة والإخاء، بدأ فخره يميل نحو اجترار مفاخره اجتراراً مشوباً بالأسى، وأمسى صوته ينشد قصائد في ظاهرها الإباء والأنفة وفي باطنها اليأس والحزن، وربما ازداد فخره بنفسه وتضاءل فخره بقومه، إما لغضبه منهم، أو لأنه لم يعد لديه ثقة فيهم.

جَمَعْتُ سُيُوفَ الْهِنْدِ، مِنْ كُلِّ بَلْـدَةٍ، وَأَعْـدَدْتُ لِلْهَيْجَـاءِ كُـلَّ مُجَالِـدِ
وَأَكْثَـرتُ لِلْغَـارَاتِ بَيْنِـي وَبَيْـنَهُمْ بَنَاتِ الْبُكَيْرِيَّاتِ حَـوْلَ الْمَـزَاوِدِ [3]

(١) الديوان، ج٣، ص٤٠٩.
(٢) اللغاديد: اللحمات التي بين الحنك وصفحة العنق. اللسان ج١٢، ص٢٩٦.
(٣) الديوان، ج٢، ص٨٣.

(ولا ينسى أبو فراس أن يسوق الحكمة المريرة في هذه المناسبة إشباعاً لرغبة التفاخر في نفسه)[١]، كما يضرب الأمثلة بعدة شخصيات تاريخية مرت بتجربة الموت أو الأسر متعللاً بأن مصيره أحد المصيرين إذا لم يجد ما يريده بفضل ابن عبد الله [٢].

نضيف لهذا أن فخره أصبح ممزوجاً بعتابه وبشكواه وباستعطافه، وبالأخص لابن عمه سيف الدولة الذي استمر يفخر بنفسه واصلاً فخره بها بفخره بسيف الدولة كما كان قبل الأسر، إلا أنه هنا يدفن تحت ثرى حروفه سمات الحزن والأسى؛ وذلك نتيجة لما يحسه من العجز والركود وهذا لم يكن موجوداً في فخره أيام حريته، فهو يقول:

جَنَانِي مَا عَلِمْتَ، وَلِي لِسَانٌ ... يَقُدُّ الدِّرْعَ وَالإِنْسَانَ، عَضْبُ
وَزَنْدِي، وَهْو زَنَدُكَ، لَيْسَ يَكْبُو ... وَنَارِي، وَهْيَ نَارُكَ، لَيْسَ تَخْبُو
وَفَرْعِي فَرْعُكَ الزَّاكِي المُعَلَّى ... وَأَصْلِي أَصْلُكَ السَّامِي وَحَسْبُ
" لإِسْمَعِيلَ " بِي وَبَنِيهِ فَخْرٌ ... وَفِي " إِسْحَقَ " بِي وَبَنِيهِ عُجْبُ
وَأَعْمَامِي " رَبِيعَةُ " وَهْيَ صِيدٌ ... وَأَخْوَالِي " بَلَصْفَرُ " وَهْيَ غُلْبُ
وَفَضْلِي تَعْجِزُ الْفُضَلاَءُ عَنْهُ ... لأَنَّكَ أَصْلُهُ وَالمَجْدُ تِرْب
فَدَتْ نَفْسِي الأَمِيرَ، كَأَنَّ حَظِّي ... وَقُرْبِي عَنْدَهُ، مَا دَامَ قُرْبُ[٣]

كذلك ولَّد إحساسه بالعجز والركود في نفسه فخراً أقرب ما يكون لرثاء النفس، فقد أصبح يعدد مفاخره في سياق الاستحضار والتذكر، ناسجاً أحداثه في أبنية الأفعال الماضوية. من ذلك قوله:

وَلَطَالَمَا حَطَّمْتُ صَدْرَ مُثَقَّفٍ، ... وَلَطَالَمَا أَرْعَفْتُ أَنْفَ سِنَانِ

(١) شعر أبي فراس الحمداني، دراسة فنية، ماجدولين وجيه بسيسو، جامعة الملك سعود كلية الآداب الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص٢٠٣.
(٢) انظر الديوان الأبيات من رقم ٢٧ إلى ٤٦ ج٢، ص٨٣-٨٥.
(٣) الديوان، ج٢، ص٢٨.

وَلَطَالَمَا قُدْتُ الْجِيَادَ، إِلَى الْـوَغَى قُـبَّ الْبُطُـونِ، طَوِيلَـةَ الأَرْسَـانِ
وَأَنَـا الَّـذِي مَـلأَ الْبَسِـيطَةُ كُلُّهَـا نَارِي، وَطَنَّبَ فِي السَّمَاءِ دُخَـانِي
إِنْ لَمْ تَكُـنْ طَالَـتْ سِنِّي فَإِنَّ لِـي رَأْيَ الْكُهُـولِ وَنَجْـدَةَ الشُّبَّانِ[1]

إن هذه الأبيات ما هي إلا بكاء على كيان تهاوى، ورثاء لمجد ضائع، وتحسر على ماضٍ حافلٍ بالبطولات.

كذلك أصبح يعدد مفاخره في صورة أحلام اليقظة، فهو يتخيل في ساحة زنزانته ساحات المعارك، ويتوهم في صوت أغلاله صوت صليل السيوف، ويرى لمعان الأسنة في نجوم الأفق، والخيل في سواد الليل، يقول:

لَقِيتُ نُجُومَ الأُفْقِ وَهْيَ صَوَارِمُ ؛ وَخُضْتُ سَوَادَ اللَّيْلِ، وَهْوَ خُيُولُ
وَلَـمْ أَرْعَ لِلـنَّفْسِ الْكَرِيمَـةِ خِلَّـةً، عَشِـيَّةً لَـمْ يَعْطِـفْ عَلَـيَّ خَلِيـلُ
وَلَكِنْ لَقِيتُ الْمَوْتَ، حَتَّى تَرَكْتُهَا، وَفِيهَا وَفِي حَـدِّ الْحُسَامِ فُلُولُ[2]

وفي منحى آخر نلاحظ في شعر الشاعر بعد الأسر تعريضاً وتوبيخاً مستمراً للشامتين واللوّام، فهو يوجه الخطاب لهم في مواطن عدة من قصائده بشكل ملفت للانتباه، وربما وُجِدَ هذا الأمر في شعره؛ لأنه يعلم أن في الحمدانيين خصوماً له وحَسَده، يفرحون لكل مكروه يصيبه ويتمنون زواله، استمع له يقول:

تَكَـاثَرَ لُـوَّامِي عَلَـى مَـا أَصَـابَنِي كَأَنْ لَمْ تَنُبْ إِلاَّ بِأَسْـرِي النَّوَائِـبُ
يَقُولُونَ: "لَمْ يَنْظُرْ عَوَاقِبَ أَمْرِهِ" وَمِثْلِي مَـنْ تَجْـرِي عَلَيْـهِ الْعَوَاقِـبُ
أَلَمْ يَعْلَمِ الذُّلاَّنُ أَنَّ بَنِـي الْـوَغَى كَذَاكَ، سَلِيبٌ بِالْرِمَاحِ وَسَـالِبُ[3]

فروسية فذة تجابه الموت حتى لو ملأ عيناها، لتحافظ على مجدها من أن يعاب ولو بكلمة. رجولة أصيلة يملَؤُها الحلم والعفو عند المقدرة، فبرغم

(١) المصدر السابق، ج٣، ص٤٠٩.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٣١٧.
(٣) الديوان، ج٢، ص٣١.

أنها تملك القدرة على الأخذ بالثأر وإفشاء عيوب الخصم، إلا أنها تمسك عن ذلك ترفعاً عن توافه الأمور، ثم لأنها تعلم أن هذا الشامت جبان لا يستطيع الوقوف في وجهها، فهو يتلفت أولاً ثم يغتابها خائفاً، وفي هذا دليل على ضعفه وجبنه، فلو كان قادراً على الندية لوقف أمامها وجهاً لوجه، وصرح لها بعيوبها، ولكن الشاعر أجاد في تصوير مغتابيه في قوله:

وَمُضْطَغِنٍ لَمْ يَحْمِلِ السِّرَّ قَلْبُـــهُ ... تَلَفَّـتَ ثُـمَّ اغْتَـابَنِـــي، وَهُـوَ هَـــائِبُ

فالحاقدون منه يهابونه، لهذا لا يواجهونه بعيوبه، بل أذاعوها بعد أسره، وبرغم بعده لم يملكوا الشجاعة للبوح بها حتى يتلفتوا حولهم متحرزين من أن يسمعهم. وهم فوق ذلك خائفون من أن يصل الخبر إليه. تصوير غير مباشر لهيبة الشاعر وشجاعته.

هذه بعض من أوجه فخر أبي فراس التي تمكن البحث من الوقوف عليها، وهي كما نرى معاني تقليدية، أعاد فيها الشاعر الفخر إلى عصوره الزاهية، ففخر بأمجاد قبيلته تغلب، وفخر ببطولات أسرته الحمدانية، ومآثر ابن عمه سيف الدولة، فنظم قلائد من شعره قلما نرى فيها اعتداداً مستكرهاً كاعتداد أبي الطيب، وخروجاً إلى الاستحالة كخروجه، وإن وقفنا على شيء من ذلك ساغته أنفسنا؛ لقربه من الطبع وبُعده عن التكلف، فنرى فيه أميراً معجباً بنفسه، مزهواً بمناقب قومه، يتكلم بعاطفته لا بعقله، كذلك نرى فخره يمتاز بفخامة لفظه وشدّة أسره ونفحته الملوكية[1].

❁❁❁❁❁

(١) أدباء العرب، بطرس البستاني، دار نظير عبود، د.ط، ١٩٨٩م، ج٢، ص٣٧١.

المبحث الثاني

قصيدة الفخر الذاتي

بعد أن عرفنا أبرز مضامين الفخر الذاتي عند أبي فراس الحمداني علينا الآن دراسة القالب الذي انصبت فيه هذه المضامين ليعبر عنها، وهنا تركز الدراسة على ركنين من أركان بناء القصيدة وهما لغتها، وبلاغتها:

أولاً: لغة قصيدة الفخر الذاتي:

من فضلة القول إن الشعر ما هو إلا بناء لغوي يحمل في ثناياه معاني وأفكار وعواطف الشاعر التي تنبئ عن مقاصده؛ لذلك عند دراسة أي نص شعري فإن بوابته الأولى هي لغته، ليس في ثوبها المعجمي وإنما في انزياحها عن الاستخدام العادي إلى الاستخدام الخاص بالشاعر الذي يتولد من خلاله شعور ما لدى المتلقي يجعله يتخذ موقفاً تجاه موضوع النص.

والشاعر لا يستطيع احداث الانزياح من المعنى المعجمي إلى ما يمكن أن نسميه المعنى الشعري إلا من خلال بناء الجمل والتراكيب، التي تشكل بعد ذلك الأسلوب الذي يضم أجزاء النص بعضها مع بعض، وفي هذا المعنى يقول تودوروف عن العمل الأدبي أنه" ليس مصنوعاً من كلمات بل هو مصنوع من جمل وهذه الجمل تنتسب إلى سجلات مختلفة من سجلات الكلام. و(الكلام مفهوم تقترب منه بعض معاني لفظة أسلوب)، ووصفها يُمثل أول مهمة بالنسبة إلينا" [١].

وعلى هذا فمهمة الدراسة هنا هي فحص التراكيب والأساليب التي كونت لغة قصيدة الفخر، وتعليل أسباب توافر بعضها دون الآخر للكشف عن الرابط بينهما وبين ما تحمله من معاني، وما ترمي إليه من مقاصد الشاعر.

(١) الشعرية، تزفتان تودوروف، ترجمة: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، الطبعة الثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص٣٨.

أ- التراكيب:

وهي القوالب الناتجة عن اجتماع الوحدات اللغوية بعضها مع بعض، لكي تدل على معنى دلالة واضحة ومحددة. ومن ذلك التراكيب الانشائية مثل: الاستفهام، والأمر، والنداء، التي نجد أبا فراس يستخدمها في شعر فخره بحضور متكرر، وأبرز التراكيب وروداً لديه الاستفهام الخارج عن معناه الحقيقي لمعانٍ، أخرى فمثلاً قصيدته:

أتَــزْعُمُ يــا ضَــخْمَ اللَّغَادِيــدِ، أنَّنــا ... ونحن أسُودُ الَحْربِ؛ لا نعرف الحَرْبَا
فَوَيْلَك؛ منْ للحَرْبِ إنْ لَـمْ نكُـنْ لهـا ... ومنْ ذَا الذِي يُمْسِي وَيُضّحِي لَهـا تِربَا
وَمَـنْ ذا يلـفُّ الجـيْشَ مـن جنباتـه ... ومَـنْ ذَا يَقُـودُ الشُّـمَّ أو يَصْـدِمُ القَلبَـا
وَوَيْلَـكَ؛ مَـنْ أَرْدَى أَخَـاكَ "بمـرْعَشٍ" ... وَجَلَّـلَ ضَـرْباً وَجْـهَ وَالِـدِكَ العَضْـبَا
وَوَيْلَكَ؛ مَنْ خَلَّى ابـن أُخْتِـكَ مُوثَقـاً ... وَخَلَّـاك "باللَّقَـانِ" تَبْتَـدِرُ الشِّـعْبَا
أَتُوعِــدُنَا بِــالْحَرْبِ حَتَّــى كَأَنَّنَــا ... وَإِيَّـاكَ لَـمْ يُعْصَـبْ بِهَـا قَلْبُنَـا عَصْـبَا[1]

ففي هذه الأبيات توالت استفهامات الشاعر على مسامع "الدمستق" استفهامات إنكارية تدفعه للإقرار بمفاخر الحمدانيين وشجاعتهم، ويلاحظ هنا تتابع الاستفهامات التي تنبئ عن شدة غضب الشاعر جراء تهكم "الدمستق" على بني حمدان، مما جعله يندفع كالسيل بهذه الاستفهامات المتكررة مدافعاً بفخره عن نفسه وعن قومه نافياً تهم "الدمستق" التي وجهها ضدهم.

وفي موقف آخر نجد الشاعر لا يستخدم الاستفهام وحده وإنما يضاعف قوة أداء العبارة بأن يحشد فيها أكثر من تركيب، فمثلاً في قوله:

قصدنا على الأعداء وسط ديارهم ... بِضَرْبٍ يُـرَى، مِـنْ وَقعِـهِ، الجْـوُّ أَغْبَـرَا
فسَـائِلْ "كِلابـاً" يـومَ "غـزوةِ بَـالِسٍ" ... أَلَمْ يَتْرُكوا النِّسوانَ في القَـاعِ حُسَّـرَا
وسَــائِلْ "نمــيرا" يَــوْمَ ســارَ إِلَــيْهِمْ ... أَلَــمْ يُوْقِنُــوا بِــالمَوْتِ لَّــا تَنَمَّــرَا

(١) الديوان، ج ٢، ص٣٦.

وسَائِلْ "عُقَيْلاً" حينَ لاَذَتْ "بِتَدْمُرٍ" أَلَمْ نُقْرِهَا ضَرْباً يَقُدُّ السَّنَوَّرَا
وسَائِلْ "قُشَيْراً" حين جَفَّتْ حُلُوقُهَا أَلَمْ نَسْقِهَا كَأْساً من الموتِ أَحْمَرَا[1]

نجده يدمج تركيب الأمر مع الاستفهام والنفي، ويكرر ذلك في عدة أبيات؛ ليدفع المتلقي للإقرار ببطولة بني حمدان. فخر أسير بقومه يحمل هذه الشحنات المكثفة من المعاني لخلق لغة تنبيهية تحريضية، فكأنه بهذه الصرخات يريد أن يوقظ مسامع بني حمدان ليهبوا للدفاع عنه وتخليصه من الأسر.

أ- الأساليب:

والمقصود بالأساليب هنا هي طريقة الشاعر في الربط بين أجزاء القصيدة، فهو إما يستخدم الوصف، أو الحوار، أو السرد، والشاعر في قصائده الفخرية مال إلى استخدام الحوار والسرد، فمثلاً قصيدته الشهيرة:

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ، شِيمَتُكَ الصَّبْرُ،... أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلاَ أَمْرُ؟

كانت عبارة عن مشهدين حواريين، الأول مع المحبوبة، والآخر مع الأصحاب، وقد انسابت مفاخره بنفسه وبقومه من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الشخصيات، الذي تدرج فيه ليسلم المتلقي إلى خاتمة القصيدة التي تلخص تلك المفاخر في قوله:

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لاَ تَوَسُّطَ عِنْدَنَا، لَنَا الصَّدْرُ، دُونَ الْعَالَمِينَ، أَوِ الْقَبْرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا، وَمَنْ خَطَبَ الْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا، وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلاَ، وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ، وَلاَ فَخْرُ[2]

إلا أن استخدام الشاعر لأسلوب السرد قد طغى حضوره على ما سواه لأن أسلوب السرد يتماشى مع المواقف الانفعالية التي يعيشها الشاعر وبالأخص بعد أسره، كما أنه يتوافق مع التزام الشاعر بتكرار تراكيبه، ومسألة التكرار

(١) الديوان، ج ٢، ص١٩٨.
(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص٢٠٩-٢١٤.

حاضرة بقوة في أبيات الشاعر؛ لأنه يقف موقف المدافع بفخره عن نفسه وعن قومه، كما أن التكرار يدعم الفكرة في ذهن المتلقي ويلبسها لبوس الإلحاح.

وكمثال على استخدام الشاعر لأسلوب السرد في الربط بين أبياته، استمع له يقول:

وَأَنْتَ أَشَدُّ هَذَا النَّاسَ بَأْساً، وَأَصْبَرُهُمْ عَلَى نُوَبِ الْقِتَالِ
وَأَهْجَمُهُمْ عَلَى جَيْشٍ كَثِيفٍ، وَأَغْوَرُهُمْ عَلَى حَيِّ حَلاَلِ
وَأَنْتَ أَرَيْتَنِي خَوْضَ الْمَنَايَا وَضَرْبِي تَحْتَ هَبْوَاتِ الْقِتَالِ
فَضَرْبِي مِنْ قِتَالِكَ لاَ قِتَالِي وَخَوْضِي مِنْ فَعَالِكَ لاَ فَعَالِي
وَفِي إِرْضَاكَ إِغْضَابُ الْعَوَالِي وَإِكْرَاهُ الْمَنَاصِلِ وَالنِّصَالِ
ضَرَبْتَ فَلَمْ تَدَعْ لِلسَّيْفِ حَدًّا وَجُلْتَ بِحَيْثُ ضَاقَ عَنْ الْمَجَالِ
فَقُلْتَ، وَقَدْ أَظَلَّ الْمَوْتُ: صَبْراً! وَإِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ سِوَاكَ غَالِ
أَلاَ هَلْ مُنْكِرٌ يَابْنَي"نِزَارٍ "، مَقَامِي، يَوْمَ ذَلِكَ، أَوْ مَقَالِي ؟
أَلَمْ أَثْبُتْ لَهَا، وَالْخَيْلُ فَوْضَى، بِحَيْثُ تَخِفُّ أَحْلاَمُ الرِّجَالِ؟[1]

ويظهر في الأبيات حديث الشاعر المتتابع في سرده مستعرضاً مفاخر سيف الدولة وشجاعة الشاعر التي رباها في داخله سيف الدولة، فالشاعر ما كان إلا امتداداً له وما شجاعته إلا تمثيلاً لشجاعة سيف الدولة.

هذه أبرز خصائص اللغة الشعرية التي امتازت بها قصيدة الفخر عند أبي فراس الحمداني.

ثانياً: بلاغة قصيدة الفخر الذاتي:

تتجسد بلاغة النص في صوره التي تجسد أفكار الشاعر ومضامينه، سواءً كانت صوراً بيانية (تشبيه- استعارة - مجاز) وما شابه ذلك، أم صور بديعية من المحسنات المعنوية (طباق- مقابلة) وما جرى مجراها..

(١) الديوان، ج ٢، ص٢٨٣.

فالصورة الشعرية هي (نسخة جمالية تستحضر فيها لغة الابداع الهيئة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته)[1] للتعبير عن موقفه مما حوله. ومن هذا المنطلق نعرض الصورة الشعرية عند أبي فراس من خلال نوعين: الصورة البسيطة التي تتكون من فن بلاغي واحد، والصورة المركبة وهي التي تتكون من اتحاد فنين أو أكثر من فنون البلاغة وتمتد عبر عدة أبيات.

أ- الصورة الشعرية البسيطة:

وهي التي تنحصر وتكتمل في بيت واحد وتتكون من فن بلاغي واحد مثل قول الشاعر:

وَأَبْطَأَ عَنّي وَالْمَنَايَا سَرِيعَةٌ ... وَلِلْمَوْتِ ظُفْرٌ قَدْ أَطلَّ وَنَابُ[2]

فالبيت حوى استعارة جعلت الموت كالوحش له ظفر وناب، وهي صورة مركزة لكنها تنم عن مدى ترقب الشاعر للموت وشدة تخوفه منه خوفاً ظهر خلف مقامات الفخر، فالبيت يأتي في معرض أبيات يمجد فيها الشاعر نفسه وقومه، فيتحدث عن الموت بهذه الدرجة من التصوير المخيف، إنه ايحاءٌ بما كان يخاف منه، وهو أن يبقى في الأسر حتى يباغته الموت.

وفي الواقع أن الصورة البسيطة هي الأكثر حضوراً في فخر الشاعر، وذلك لأنه في الغالب يرتجل أبياته في مواقف انفعالية، فيقع تحت تأثير اللحظة فتأتي صوره البلاغية مركزة في فن واحد، ومبنية في بيت واحد قليلاً ما تتجاوزه للبيتين أو الثلاثة.

ب- الصورة الشعرية المركبة:

وهي قليلة الحضور في ديوان الشاعر؛ لأن مثل هذه الصور تحتاج إعمال الفكر لبنائها، والشاعر كما ظهر من شعره سابقاً يقع تحت تأثير الانفعال مما

---

(١) الصورة الفنية معياراً نقدياً، عبدالإله الصائغ، د.ط، دار القائدي للطبع والنشر والتوزيع، د.ت، ص١٣٧.

(٢) الديوان، ج ٢، ص٢٣.

يجعله غالباً يرتجل أبياته، وهذا الأمر يميل بشعره نحو الصورة البسيطة أكثر من المركبة.

وكمثال على الصورة المركبة نجد قصيدة الشاعر التي كانت جواباً عن كتاب بعث به صديقه "القاضي أبي الحصين" ومطلعها:

كَيْـــــفَ السَّبِيلُ إِلَى طَيْفٍ يُزَاوِرُهُ ... وَالنَّوْمُ، فِي جُمْلَةِ الأَحْبَابِ، هَاجِرُهُ؟(١)

ففي هذه القصيدة نجد فني الطباق والمقابلة ركزتين في بناء القصيدة فمثلاً قوله: (وَالصَّبْـرُ أَوَّلُ مَـا يَأْتِـي، وَآخِـرُهُ) و(فَالصَّبْرُ خَـاذِلُهُ، وَالدَّمْعُ نَاصِـرُهُ) و(يَنَامُ عَـنْ طُولِ لَيْلٍ، أَنْتَ سَاهِرُهُ) فهذه طباقات ترد في شطر واحد تتطور بعد لتكون مقابلة من مثل قوله:

وَأَنَّنِي وَاصِـلٌ مَـنْ أَنْتَ وَاصِلُهُ، ... وَأَنَّنِي هَـاجِـرٌ مَـنْ أَنْـتَ هَـاجِرُهُ

وقوله:

أَيْنَ الْخَلِيلُ الَّـــذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ، ... مَعَ الْخَطُوبِ، كَمَا يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ؟

وهذا يشكل ثنائية في أداء المعنى، فهو مع وضعه للمعنى وضده في الطباق والمقابلة نجده أيضاً يضع المعنى ونظيره من مثل قوله:

فَالْعَـيْنُ تَرْتَعُ فِيمَا خَطَّ كَاتِبُهُ، ... وَالسَّمْعُ يَـنْـعَـمُ فِيمَا قَالَ شَاعِرُهُ

وهكذا تمتد القصيدة وهي تدور حول محور الثنائية في المعاني، فكأنها معادلاً نفسياً لحياة الشاعر التي انقسمت إلى جزئين: حياة الشاعر قبل الأسر، وحياته بعد الأسر، عيش في العز والمجد، وعيش في ذل السجن وكربته.

وهكذا تكونت قصيدة الفخر الذاتي عند أبي فراس الحمداني من لغة تنبيهية تحريضية، وصور بلاغية بسيطة في الغالب الأعم؛ لأنها لغة انفعالية تحتشد خلفها مشاعر أبي فراس الثائرة غضباً وحزناً من جراء أسره، هذه الحادثة التي شكلت تحولاً في منطلقاته الشعرية نراها في معرض المبحث التالي لهذه الدراسة الذي يهتم بقراءة دلالات الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني.

---

(١) الديوان، ج ٢، ص١٨٠.

المبحث الثالث

دلالات الفخر الذاتي

لا يمكن لشاعر ما أن ينظم نصاً شعرياً دون أن تكون له من ورائه مقاصداً أو أغراضاً يريد أن يعبر عنها، فليس المعنى فقط هو ما وراء النص بل تكون في ثنايا العبارات مقاصد مختبئة يلتقطها القارئ الجيد من خلال ما توحي به تلك العبارات (١).

ليس هذا فحسب بل على القارئ أن يربط بين النص وسياقه الخاص وهو حياة الشاعر، وسياقه العام وهو مجتمع الشاعر؛ ليستطيع استشفاف غايات الشاعر التي نظم النص من أجل التعبير عنها أو الإيحاء بها. وانطلاقاً من هذا الأمر نبحث عن دلالات الفخر الذاتي في قصائد أبي فراس الفخرية نفسياً واجتماعياً في محاولة للكشف عن الدلالات الخفية لفخره.

أ- الدلالة النفسية للفخر الذاتي:

إن أي شاعر لا يندفع لنظم أبياته إلا ليعبر عن فكرة ملحة في ذهنه أو إحساس طاغي في وجدانه فيتسرب هذا المعنى الضمني في ثنايا المعاني الظاهرة للأبيات. وحتى نستظهر هذه الفكرة فعلاً نقرأ أبيات أبي فراس:

إِنْ زُرْتُ "خَرْشَنَةً" أَسِيرًا ... فَلَكَمْ أَحَطْتُ بِهَا مُغِيرَا؟
وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ تَلْ ... تَهِبُ الْمَنَازِلَ وَالْقُصُورَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّبْيَ يُجْ ... لَبُ نَحْوَنَا حُوَّا، وَحُورَا
نَخْتَارُ مِنْهُ الْغَادَةَ ال ... حَسْنَاءَ وَالظَّبْيَ الْغَرِيرَا
إِنْ طَالَ لَيْلِي فِي دُارَ ... كِ فَقَدْ نَعِمْتُ بِهِ قَصِيرًا
وَلَئِنْ لَقِيْتُ الْحُزْنَ فِي ... كِ فَقَدْ لَقِيتُ بِكِ السُّرُورَا
وَلَئِنْ رُمِيتُ بِحَادِثٍ ... فَلأُلْفَيَنَّ لَهُ صَبُورَا

(١) القراءة وتوليد الدلالة، د. حميد لحمداني، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٧م، ص١٠٥-١٠٧.

صَـــــبْراً لَعَـــــلَّ اللهَ يَـــــفْ تَـــحُ بَعْـــدَهُ فَتْحـــاً يَسِـــيرَا
مَـــنْ كَـــانَ مِثْلِـــي لَـــمْ يَبِـــتْ إِلاَّ أَسِـــــــيرًا أَوْ أَمِـــــــيرَا
لَيْسَـــــتْ تَحُـــــلُّ سَـــــرَاتُنَا إِلاَّ الصُّـــــدُورَ أَوِ الْقُبُـــــورَا[1]

فهذه الأبيات قد قالها الشاعر عندما مر بـ"خَـرْشَنَةً" وهو أسير، وليس الهدف من هذه الأبيات مجرد اخبار المتلقي بغزواته وبطولاته في "خَـرْشَنَةً" سابقاً، وليس القصد منها الفخر في حد ذاته وإن كان المعنى الظاهر للأبيات إلا أنها تنم كذلك عن التحسر على فقدان الحرية، واختلاف الحال من عز البطولات إلى ذل الأسر، ونفس الفارس الشامخة تأبى أن تكون في مثل هذه المواقف شاكية أو منهزمة لهذا عدد الشاعر مفاخره تعبيراً عن حسرته على فقدان حريته.

أمر آخر أجهد أبا فراس نفسياً في أسره ألا وهو سطوة القيد وقسوة القضبان مما جعله يبعث لأمه بقصيدته:

مُصَابِي جَلِيلٌ، وَالْعَزَاءُ جَمِـيلُ، ... وَظَنِّـي بِـأَنَّ اللهَ سَـوْفَ يُدِيـــلُ[2]

يعزيها تصبيراً لها على فراقه ويشكو لها ما يعانيه من الجراح والأسر والاشتياق والغربة، إلا أن هذه الشكوى تنتهي في القصيدة بفخره بنفسه يقول:

وَمَـا أَثَـرِي، يَـوْمَ الْلِقَـاءِ، مُـدَمَّمٌ! وَلاَ مَـوْقِفِي، عِنْـدَ الإِسَـارِ،ذَلِيلُ!
لَقِيـتُ نُجُـومَ الأُفْـقِ وَهْـيَ صَـوَارِمُ؛ وَخُضْتُ سَوَادَ اللَّيْلِ، وَهْوَ خُيُولُ
وَلَـمْ أَرْعَ لِلـنَّفْسِ الْكَرِيمَـةِ خِلَّـةً، عَشِـيَّةً لَـمْ يَعْطِـفْ عَلَـيَّ خَلِيـلُ
وَلَكِنْ لَقِيتُ الْمَوْتَ، حَتَّى تَرَكْتُهَا، وَفِيهَـا وَفِـي حَـدِّ الْحُسَـامِ فُلُـولُ

فهو برغم وجوده في الأسر وتحت وطأة الجرح الذي أصابه، وسطوة القيد وقضبان السجن؛ إلا أنه يحول السماء إلى ساحة قتال فيجعل النجوم سيوفاً وسواد الليل خيولاً ويفتعل في خياله معركة يكون فارسها الذي لم يتمكن

(١) الديوان، ج ٢، ص٢٠٨.
(٢) الديوان، ج ٢، ص٣١٣.

منه إلا الموت، وهذه المفاخرة حلم يقظة يهرب إليه الفارس من سطوة القيد وضيق السجن. وعلى هذا المنوال كانت غالبية مفاخرات الشاعر بعد الأسر محاولات لمعالجة الألم النفسي الذي يعانيه في السجن.

وبرغم أن الشاعر كان في الأسر وحيداً إلا أنه لم ينفك عن المحيط الذي من حوله، فقد ظل مرتبطاً بدياره وقومه وماضيه، منعزلاً عن واقعه وعن البيئة الاجتماعية التي سُجن فيها، وهذا ينقلنا للنظر في الدلالة الأخرى لفخر أبي فراس الحمداني وهي الدلالة الاجتماعية.

ب- الدلالة الاجتماعية للفخر الذاتي:

لا يستطيع الشاعر أن ينفك عن بيئته المحيطة به وبالأخص الشاعر العربي، حيث تربطه في الغالب بمجتمعه روابط الدم والقربى، فيظل متصلاً بأسرته وقبيلته بأواصر الولاء والانتماء. وشاعرنا كغيره من الشعراء الفرسان العرب عاش موالياً لقبيلته منافحاً عنها بالسيف وباللسان، وتجسيداً لهذا يقول:

إِنْ يَمْنَعِ الأَعْدَاءَ حَــدَّ صَـوَارِمِـي ... لاَ يَمْنَعِ الأَعْدَاءُ حَـــدَّ لِسَانِي

هذا البيت ورد في قصيدة مطلعها:

أَتَعُزُّ أَنْتَ عَلَـى رُسُـومِ مَغَـانِ ... فَـأُقِيـمَ لِلْعَبَرَاتِ سُـــوقَ هَوَانِ[1]

وهي قصيدة بعث بها الشاعر إلى سيف الدولة من سجنه في بلاد الروم يعرفه بخروج الدمستق للهجوم على الشام، ويحرضه على الاستعداد للقتال، وهذا فعل يجسد غاية الانتماء للقبيلة والولاء للأسرة. لهذا أتت القصيدة وأبياتها تتناوب في تجسيد مشاعر الانتماء للقبيلة واللاانتماء للواقع الذي يعيشه، فهو يقول معبراً عن ولائه لأهله يقول:

أَبْكِي الأَحِبَّةَ بِ "الشَّآمِ" وَبَيْنَنَا ... قُلَلُ "الدُّرُوبِ" وَشَاطِئاً "جَيْحَانِ"
وَتُحِبُّ نَفْسِي الْعَاشِقِينَ لأَنَّهُمْ ... مِثْلِي عَلَى كَنَفٍ مِنَ الأَحْزَانِ
فَضَلَتْ لَدَيَّ مَدَامِعٌ فَبَكَيْتُ لأْ ... بَاكِي بِهَا، وَوَلِهْتُ لِلْوَلْهَانِ

(١) الديوان، ج ٣، ص٤٠٦.

ثم إنه ينظر لحاله فيطرح استفهاماً انكارياً ينطلق منه لتصوير حالة اللاانتماء من خلال عرض الحال المضاد لما كان عليه مفاخراً ببطولاته السابقة يقول:

مَالِي جَزَعْتُ مِنَ الْخُطُوبِ وَإِنَّمَا ... أَخَذَ الْمُهَيْمِنُ بَعْضَ مَا أَعْطَانِي
وَلَقَدْ سَرَرْتُ كَمَا غَمَمْتُ عَشَائِرِي ... زَمَناً، وَهَنَّانِي الَّذِي عَزَّانِي
وَأُسِرْتُ فِي مَجْرَى خُيُولِي غَازِياً، ... وَحُبِسْتُ فِيمَا أَشْعَلَتْ نِيرَانِي
يَرْمِي بِنَا، شَطْرَ الْبِلاَدِ، مُشَيَّعٌ، ... صَدْقُ الْكَرِيهَةِ، فَائِضُ الإِحْسَانِ
بَلَدٌ، لَعَمْرُكَ، لَم أَزَلْ زَوَّارَهُ ... مَعَ سَيِّدٍ قَرْمٍ أَغَرَّ، هَجَانِ
إِنَّا لَنَلْقَي الْخَطْبَ فِيكَ وَغَيْرَهُ ... بِمُوَفَّقٍ، عِنْدَ الْخُطُوبِ، مُعَانِ
أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعَ الْحَرَاكِ، وَطَالَمَا ... أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعاً عَلَى الأَقْرَانِ
وَلَطَالَمَا حَطَّمْتُ صَدْرَ مُثَقَّفٍ، ... وَلَطَالَمَا أَرْعَفْتُ أَنْفَ سِنَانِ
وَلَطَالَمَا قُدْتُ الْجِيَادَ، إِلَى الْوَغَى ... قُبَّ الْبُطُونِ، طَوِيلَةَ الأَرْسَانِ
وَأَنَا الَّذِي مَلأَ الْبَسِيطَةُ كُلُّهَا ... نَارِي، وَطَنَّبَ فِي السَّمَاءِ دُخَانِي
كَانَ الْقَضَاءُ فَلَمْ تَكُنْ لِيَ حِيلَةٌ ... غَلَبَ الْقَضَاءُ شَجَاعَةَ الشُّجْعَانِ

فخر بماضٍ يستحضره الشاعر لأنه يرى نفسه منتمياً لذلك الماضي، فينفصل عن واقعه الحقيقي إلى واقع الذكريات، يجترها ويتمثلها علّه يشعر بشيء من أمان الانتماء وأمل التحرر من الأسر.

وبعد أبيات الفخر بالنفس والفخر بالقوم تأتي رسالة الشاعر التي كانت الهدف من القصيدة وهي قوله:

"سَيْفَ الْهُدَى"!مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ يُرْتَجَى ... يَوْمٌ ، يُذِلُّ الْكُفْرَ لِلإِيمَانِ
هَذِي الْجُيُوشُ ، تَجِيشُ نَحْوَ بِلاَدِكُمْ ... مَحْفُوفَةً بِالْكُفْرِ وَالصُّلْبَانِ
الْبَغْيُ أَكْثَرُ مَا نُقِلُّ خُيُولُهُمْ ... وَالْبَغْيُ شَرُّ مُصَاحِبِ الإِنْسَانِ
لَيْسُوا يَنُونَ ، فَلاَ تَنُوا فِي أَمْرِكُمْ ... لاَ يَنْهَضُ الْوَانِي لِغَيْرِ الْوَانِي

غَضَـــباً لِـــدِينِ اللهِ أَنْ لاَ تَغْضَـــبُوا لَـمْ يَشْـتَهِرْ فِـي نَصْـرِهِ سَـيْفَانِ
حَتَّـى كَـأَنَّ الْـوَحْيَ فِـيكُمْ مُنْـزَلٌ وَلَكُـمْ تُخَـصُّ فَضَـائِلُ الْقُـرْآنِ
قَـدْ أَغْضَـبُوكُمْ فَأَغْضَـبُوا، وَتَـأَهَّبُوا لِلْحَـرْبِ أُهْبَـةَ ثَـائِرٍ، غَضْـبَانِ

وهذه الأبيات تجسد الانتماء واللاانتماء في وقت واحد، ففخره بقومه ومدحه لهم يمثل انتمائه لهم، وتحذير الشاعر لقومه من العدو وهجوه يمثل اللاانتماء للعدو وللواقع الذي يعيشه معه.

هذه أبرز الدلالات التي أوشت بها أبيات ومعاني الفخر عند أبي فراس الحمداني، فعلى صعيد السياق الخاص للنص ظهرت الدلالات النفسية التي جسدت مشاعر الشاعر نتيجة فقدانه للحرية ومعاناته من سطوة القيد، وعلى صعيد السياق العام للنص برزت الدلالة الاجتماعية التي تحدد موقف الشاعر من الواقع المحيط به في انتمائه لقبيلته، واللاانتماء للعدو والحرص على مؤازرة القبيلة ومعاداة الخصم بالقول، فالشاعر برغم عجزه عن القتال في ساحات الحرب، فلسانه سيف صارم مناهض بالقول.

الخاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة موضوع "الفخر الذاتي عند أبي فراس الحمداني"، فمهدت له بتمهيد يوضح دوافع الفخر الذاتي عند الشاعر، ثم بسطت المبحث الأول بعنوان: مضامين الفخر الذاتي في شعره موضحاً مفاخره قبل الأسر وبعده، فهذه الحادثة كانت نقطة تحول في مجرى مضامين الفخر.

ثم استعرض المبحث الثاني وهو بعنوان: قصيدة الفخر الذاتي خصائص اللغة والبلاغة في شعر الفخر الذاتي للشاعر، والأسباب التي دعت إلى تشكلها على ذلك النحو.

ثم ختمت الدراسة بحثها بالمبحث الثالث بعنوان: دلالات الفخر الذاتي في شعر أبي فراس الحمداني، وقد تناول هذا المبحث الإجابة على سؤال على ماذا يدل شعر الفخر الذاتي في ديوان أبي فراس الحمداني؟

وقد وجدت الدراسة أن الفخر الذاتي عند أبي فراس الحمداني تشكل ليوحي نفسياً بمشاعره بعد فقدان حريته، ومعاناته من سطوة القيد. كما جسد فخره اجتماعياً موقفه من واقعه ومن المجتمع الذي يعيش فيه. وقد تعالى فخر الشاعر بعد الأسر برغم عنف التجربة، وما ذلك إلا لأن وجدان الفارس يرفض الانهزام أمام أي عدو أياً كان نوعه، فهو بعد الأسر لم يستسلم لمجرد لشكوى، بل ظل بفخره يقاتل الضعف ويهزم الألم.

هذا ما تناولته هذه الدراسة، وأسأل الله بفضله وكرمه الإصابة في الجواب، وفصل الخطاب، والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، د.النعمان القاضي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، طبعة ١٩٨٢م.
٢. أبو فراس الحمداني دراسة في الشعر والتاريخ، جورج غريب، دار الثقافة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧١م.
٣. أبو فراس الحمداني شاعر الفروسية والوجدان، د. محمد حمود، دار الفكر اللبناني بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
٤. أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية، د.عبد المجيد الحر، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٥. أبو فراس الحمداني، حياته وشعره، عبد الجليل حسن عبد المهدي، مكتبة الأقصى، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ_ ١٩٨١م.
٦. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٧. الأدب وفنونه، محمد مندور، نهضة مصر- مصر، تاريخ النشر ٢٠٠٠م.
٨. أدباء العرب بطرس البستاني، دار نظير عبود، طبعة ١٩٨٩م.
٩. الأسر والسجن في شعر العرب د. أحمد مختار البرزة، مؤسسة دار علوم القرآن، الطبعة الأولى،١٤٠٥هـ _١٩٨٥م.
١٠. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر دار المدني- جدة، الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
١١. أصول النقد الأدبي، د . طه مصطفى أبو كريشة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة١، ١٩٩٦م.
١٢. أعلام الشعر العربي، تميم فاخوري ومريم شبلي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

١٣. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة يناير ١٩٧٩م.
١٤. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة.
١٥. البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
١٦. بناء لغة الشعر، جون كوين، ترجمة د. أحمد درويش، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
١٧. بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، د. محمد خليل الخلايلة، علم الكتب الحديث الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٨. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
١٩. تاريخ الأدب العربي ج٦ عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
٢٠. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، د. إبراهيم علي أبو الخشب، دار الفكر العربي للطباعة، طبعة عام ١٩٧٤م-١٩٧٥م.
٢١. تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البوليسية بيروت، الطبعة الثانية عشرة.
٢٢. تاريخ الأدب العربي،كارل بروكلمان، ترجمة د. عبدالحليم النجار، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.
٢٣. تاريخ الموصل، سعيد الديوه جي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢.
٢٤. التكرير بين المثير والتأثير، د . عز الدين علي السيد، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٥. التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، بدوي طبانه، مكتبة الأنجلو المصرية- مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
٢٦. جماليات القصيدة المعاصرة ، طه وادي، دار المعارف بمصر، الطبعة ٣ - ١٩٩٤م.
٢٧. دراسات في النص الشعري "العصر العباسي"، عبده بدوي، دار قباء القاهرة، طُبع عام ٢٠٠٠م
٢٨. دراسات نفسية في الإبداع والتلقي. د. مصطفى سويف. سلسلة علم النفس في حياتنا الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، الطبعة الأولى-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٩. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٣٠. دراسة في البلاغة والشعر، د . محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
٣١. الدولة الحمدانية، د.أحمد عدوان، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٨١م.
٣٢. ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي بدمشق، طبع في بيروت سنة ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م.
٣٣. رثاء النفس في الشعر العربي، أ.د. عبد الله باقازي، المكتبة الفيصلية.
٣٤. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٣٥. سيف الدولة الحمداني مملكة السيف ودولة الأقلام، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثالثة.

٣٦. شاعر ونص عن أبي فراس الحمداني وقصيدته (نفسة مصدور وزفرة أسير) د. فاضل فتحي والي. سلسلة اللغة العربية قضاياها ومشكلاتها، فعاليات ندوة الشعر العربي القديم – دراسته وسُبُل تذوقه.
٣٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، منشورات دار الأفاق الجديدة.
٣٨. شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنية، ماجدولين وجيه بسيسو، جامعة الملك سعود كلية الآداب الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٣٩. شعر الحرب في أدب العرب، د.زكي المحاسني، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
٤٠. الشعر العباسي، أ.د فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، طبعة ٢٠٠٣م.
٤١. الشعر والموقف الانفعالي، د.عبدالله باقازي، دار الفيصل الثقافية- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٤٢. الشعرية، تزفتان تودوروف، ترجمة: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، الطبعة الثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.
٤٣. الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، د. مدحت الجيار، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية-١٩٩٥م.
٤٤. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب لجابر عصفور، المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.
٤٥. الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الشركة العربية للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى_١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٤٦. الصورة الفنية معياراً نقدياً، د. عبد الإله الصائغ، دار القائدي للطبع والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

٤٧. عن بناء القصيدة العربية الحديثة. د. علي عشري زايد، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤٨. في الأدب العباسي الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، دار النهضة المصرية، د.ط،١٩٧٥م.
٤٩. في بناء النص ودلالته، مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، د.ط، ١٩٩٨م.
٥٠. في التذوق الجمالي لقصيدة أبي فراس الحمداني (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر) د. محمد علي أبو حمده، سلسلة النقد الأدبي التطبيقي.
٥١. في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة، د.ت.
٥٢. القراءة وتوليد الدلالة، د. حميد لحمداني، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ٢٠٠٧م
٥٣. لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة.
٥٤. مدخل إلى تحليل النص الأدبي، عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزق، دار الفكر، الطبعةالثالثة١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٥٥. مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٩٨٧م.
٥٦. منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي لبنان، الطبعة الثالثة.
٥٧. موسوعة أمراء الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، د. حسن نور الدين، شركة رشاد برس بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٥٨. نخب تاريخية وأدبيه جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني ماريوس كانار، الجزائر طبع لتيبو ليطو وجول كربونيل.
٥٩. النص الأدبي دراسة تحليلية تكاملية، د.توفيق الفيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.
٦٠. النص الشعري وآليات القراءة، د. فوزي عيسى، منشأة المعارف بمصر.
٦١. النص وإشكالية المعنى، عبدالله محمد العضيبي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦٢. النصوص الأدبية دراسة وتحليل، سعود محمد عبد الجبار، أصدره قسم اللغة العربية بكلية الإنسانيات . جامعة قطر، الناشر دار قطري بن الفجاءة، د.ت.
٦٣. النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومنهجه المعاصرة، سعد أبو الرضا، د.ط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٦٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.
٦٥. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة الثانية-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.